حضرة المتهم «المؤلف الملاكي».. أبي:

حمى التوريث المصرية تمتد الى صنعة المسلسلات!

د. عماد عبد الرازق *

لقطة من مسلسل «حضرة المتهم ابي»

■ حمى المسلسلات التلفزيونية التي تجتاح شاشات الفضائيات العربية في هذا الوقت من كل عام بحلول شهر رمضان الكريم، لا يضاهيها في الانتشار سوى تفشي موجة ابناء وبنات الفنانين والفنانات، في ظل النظام العائلي الوراثي الذي بات يعيد استنساخ ذاته ويفرخ تنويعات متجددة كل يوم في سائر أرجاء المحروسة من قمة الهرم السياسي الى الامبراطوريات الاعلامية مرورا بهيئات التدريس الجامعية، وليس انتهاء باقطاعيات البزنس والتجارة وسائر مفردات تركة الوطن المنهوب.

سيرا على العادات الرمضانية الحميدة، عاد الفنان نور الشريف ليطل على الجمهور من الشاشة الصغيرة (طالما أن السينما أدارت ظهرها أو اوشكت له ولحفنة أبناء جيله حتى بات نجمهم قاب قوسين أو أدنى من الأفول ـ باستثناء فيلم يتيم من حين لآخر مثل «عمارة يعقوبيان» ـ فتبا لفن السينما الغدار الذي لا يكيل بالباذنجان ويتنكر لنجومه بين ليلة وضحاها). عاد نور الشريف بمسلسل «حضرة المتهم أبي» الذي يزعم أنه يتناول قضية الفساد، وأشياء أخرى من البطالة ولا جدوى التعليم الى المخدرات والبلطجة وما تيسر من مكسرات رمضانية.

المسلسل من النوع الطويل النفس، أو لنقل مسلسل طويل الباع من الطراز الرمضاني الأصيل الذي تتقطع أنفاس المشاهد في متابعة انحناءاته والتواءاته الدرامية الموظفة خلالها شتى ألاعيب المط والتطويل حتى يظل صامدا طوال أيام الشهر الكريم وان أزهقت أنفاس المشاهد المسكين. وهذه لو تعلمون آفة مزمنة من آفات صنعة المسلسلات التلفزيونية التي تشترط أطوالاً وأعداداً بعينها للمسلسلات (الرمضانية منها بوجه خاص)، ومن هنا يجتهد المؤلفون ويقدحون زناد قرائحهم ويعتصرون أقلامهم حتى تجود بما تيسر من مشاهد الحشو والتطويل والشخصيات الطفيلية المقحمة دون أي ضرورات درامية ولا فنية، باستثناء تشغيل الأقارب والمعارف والمحاسيب من المتنطعين وأنصاف الموهوبين.

لا نبالغ ان قلنا ان مسلسل «حضرة المتهم أبي» فقد زخمه الدرامي قبيل اكتمال الحلقة العاشرة، وراحت أحداثه من تلك النقطة فصاعدا تنداح يمينا ويسارا في حبكات فرعية وحكايات ثانوية لا تصب بالضرورة في مجرى الصراع الدرامي الرئيسي الذي انطلقت منه الحلقات، ويدور حول تنافس مراهقين على الفوز بقلب حسناء النادي «نيجار»، ابنة رجل الأعمال فاحش الثراء. هذا الصراع نفسه لا يستغرق كثيرا قبل أن يفرغ من مضمونه سريعا في الحلقات الأولى ومن ثم يفقد قوة دفعه الدرامية، بعد أن يصل الى ذروته في شكل تحول المنافسة الى معركة مراهقين تصل الى قسم الشرطة وتتحول الى صراع ارادات بين ابن الأثرياء ذوي النفوذ وابن المدرس المتواضع، ممثل المغلوبين على أمرهم، وتكون النتيجة محسومة بالطبع للأقوى. اذ يضطر الأب المدرس للتراجع عن شكواه ضد المعتدين على ابنه بالضرب المبرح، أمام تهديدات اصحاب النفوذ الذين كشروا عن أنيابهم وتجلت عينة من تهديداتهم في شكل عرقلة البعثة الدراسية لزوج ابنة المدرس الى بريطانيا. هذا الصراع الذي وصل ذروته ثم استنفد زخمه في الحلقات الأولى جاء انفراجه مشفوعا بسيل من المواعظ والدروس المستفادة تلاها الأب الحصيف والمدرس الفاضل «مستر عبد الحميد» على مسامعنا ومسامع ابنه العزيز الذي يأبى أن ينصاع لحكمة أبيه ويستوعب درس الحياة الأهم حول دور المال والسلطة والنفوذ في تحديد مصائر الناس، الفقراء والضعفاء منهم بوجه خاص. يحاول المسلسل اعادة نفخ الحياة الدرامية في هذا الصراع الذي حسم مبكرا أكثر من مرة دون جدوى، اللهم الا من حشو بضع حلقات بمعارك مفتعلة وشطحات في مسارات جانبية لعديد الشخصيات الثانوية، لكنها سرعان ما تؤدي دورها في تطويل الحلقات، ويتركها المؤلف دون عودة لينتقل لشطحة أخرى لا تقل عن السابقة فقرا وافتقارا للزخم الدرامي.

لو أن مشكلة «حضرة المتهم أبي» اقتصرت على آفة المط والتطويل لربما جاز احتماله او الغفران لمؤلفه، على اساس أنه ليس وحيدا بين المؤلفين في انصياعه لضرورات صنعة المسلسلات، وايضا لأن رمضان شهر كريم سخي العطاء ولا بأس من ربط المشاهدين فيه أمام الشاشات بالساعات يستمتعون خلالها بما لذ وطاب من المسلسلات، وما لذ وطاب من المأكولات والمشهيات. لكن المسلسل المذكور طالته أيضا الآفة الأخرى الأكثر انتشارا في مصر المحروسة، وهي توريث المواهب والمناصب والكراسي، قبل توريث المال والعز والجاه والسلطان. المؤلف محمد جلال عبد القوي يبدو انه ـ والعلم اليقين عند أهل التلفزيون ـ قدح زناد فكره أياما وليالي ليفصل المسلسل على مقاس المحروس ابنه الذي يضطلع بدور «أحمد»، ابن «المستر عبد الحميد» وهو دور رئيسي ان لم نقل دور بطولة، علما بأن اسمه في الحقيقة هو «أحمد» أيضا. (أي أن المعنى ليس في بطن الشاعر هنا). ولكم أن تتخيلوا دون عناء كبير، المؤلف جالسا في صومعته يستجدي ربات الالهام أن تغدق عليه من وحيها، وكلما خط بضعة سطور سارع الى عرضها على ابنه، أى أن الابن تمتع بحظوة لم ينلها أي من المشاركين في المسلسل باطلاعه على الابداع طازجا ومن مصادره الأولى، ومع ذلك لم يبد أن هذه الحظوة أفادته كثيرا في أدائه للدور، ولا حتى ما تلقاه من علم وتدريب في المعهد العالي للفنون المسرحية الذي يدرس في صفه الثالث (ويعلم الله وحده كيف اجتاز اختبارات القبول فيه). للأسف الشديد فان نصيب المحروس أحمد أو «ميدو» في المسلسل، من الموهبة جد متواضع، وهو يبدو «تائها» في الدور، غارقا فيه كمن يرتدي ثوبا فضفاضا يجرجر أطرافه فتتعثر به أقدامه كلما خطا قليلا في أي اتجاه.

يفتضح هذا بشكل خاص في المشاهد التي تجمعه مع ابيه، نور الشريف، ويتضح بجلاء أكثر في تلك التي ينفرد فيها بالكاميرا وبالأحرى تنفرد به فتزيغ عيناه ويحملق مذهولا فينا نحن المشاهدين، وقد اعيته الحيل بيديه الطويلتين لا يدري ماذا هو صانع بهما فيتركهما تتدليان في حيرة على جانبي قامته الفارعة، ولا تعبير ولا تشخيص ولا تمثيل ولا حياة لمن تنادي، فتخرج الكلمات من فمه هزيلة لا تحمل شبهة انفعال او توتر.

(وصحيح ان الفن لا يكيل بالباذنجان في بلد يفوق عدد سكانه السبعين مليونا ويكتظ بملايين الشباب والشابات من أصحاب الطاقات المعطلة، لكن المواهب والفرص تأبى الا أن تطرق أبواب ابناء الفنانين والمشاهير واصحاب الجاه والمال، دون سواهم. وما من أحد يعترض على أن يتبوأ الموهوبون منهم الأماكن التي يستحقونها، لكن المشكلة أن نظاما يعيد انتاج نفسه على هذا النحو المريب لن يكون عادلا ولا منصفا ولن يفرز الأفضل ولا الأجود، بل سيعيد انتاج أسوأ ما فيه.)

فلنترك التمثيل الرديء جانبا بعض الشيء (وهناك الكثير الكثير منه في مسلسلات هذا العام)، لنتوقف عما يقوله هذا المسلسل الفذ الذي بهر الجمهور وأدهشه.

المربي الفاضل كامل الأوصاف «الأستاذ عبد الحميد»

الفكرة الأساسية التي ينطلق منها الصراع الدرامي في المسلسل بكل تفريعاته الثانوية، الضرورية منها والزائدة عن الحاجة أو المجلوبة لغرض الحشو والتطويل، هي نفس التيمة الأبدية المتكررة دوما وأبدا في عشرات الأفلام والمسلسلات والمسرحيات وما لا حصر له من المعالجات العربية:

الحب المجهض. بين شاب فقير من أسرة متواضعة وفتاة (لا بد وأن تكون فاتنة تنتمي لعائلة فاحشة الثراء)، وهي هنا أيضا الابنة الوحيدة ونصيبها من التدليل لا حدود له بفضل طلاق أبويها ومن ثم فكلاهما يتنافسان في ارضائها وتدليلها بشتى الطرق. وهو تنميط آخر لم نر دليلا عليه في أداء الممثلة للشخصية، فهي تبدو ناضجة ومستقلة أكثر بكثير من حبيبها الساذج الذي لم يلق تدليلا ولا ذاق طعم النعيم. والأب الفاحش الثراء ذو الجاه والسلطان والنفوذ يتحول الى حمل وديع أمام رغبات ابنته ونزواتها لا يستطيع ان يرفض لها طلبا. وهو يكابد العناء طوال المسلسل بحثا عن اجابة لسؤال أبدي آخر، ما الذي يعجب ابنته التي ترفل في النعيم بهذا الشاب الفقير القادم من أزقة وحواري «العمرانية»، أحد احياء محافظة الجيزة المكتظة بالسكان؟ وهو نفس السؤال الذي يحير خصوم الشاب «أحمد» الذين لا يترددون في القائه في وجه الحسناء «نيجار» على سبيل التعريض بحبيبها والسخرية منه ومن أصوله الفقيرة.

لا يقدم المسلسل أي جديد على صعيد تناول هذه التيمة، بل انه ينكفئ على نفسه في استثمار كافة العواطف وردات الفعل الانفعالية المنبثقة عن مثل هذا الصراع التقليدي المستهلك، وعلى نحو ميلودرامي زاعق أحيانا، لكنه بالتأكيد يداعب ذات الأوتار العاطفية لدى الغالبية العظمى من جمهور المسلسل الذين ينتمون لمعسكر الطبقات الفقيرة والمتوسطة او المتواضعة، وفي مقدمتها بالطبع ذلك الحلم الطوباوي الأزلي بامكانية رأب الهوة الفاغرة بين الفقراء والأغنياء عبر الحب الذي يحطم المستحيلات. الحب لا يحطم شيئا هنا بل سرعان ما يتحطم في أقرب مواجهة مع الواقع وينجرف الى مسارات هامشية على شكل معارك بلطجة بين المراهقين المتنافسين على قلب الحبيبة، وتتطور الى معارك وخصومات قانونية بين أسرتي الشابين، لكن هذه وتلك سرعان ما تحسمان لصالح الأقوى والأكثر نفوذا ومن ثم تجهض هذه التطورات الفرعية بعد أن تستنفد طاقتها على شحذ الحدث ودفعه دراميا ونوشك أن نصل الى نهاية المسلسل بالمنطق الدرامي، لولا أنه شهر رمضان ولا بد من المضي حتى الحلقة الثلاثين، فيعرج المؤلف من جديد على مسارات فرعية تحاول أن تنفخ الروح في جسد الصراع الرئيسي الذي لفظ أنفاسه مبكرا. تارة نرى الأب يلقي باللوم على أبيه في أنه تنازل عن حقه ويقرر هو أن يسلك طريقه الخاص في القصاص عن طريق البلطجية، وتارة نرى هذا المسار ينتهي الى مصالحة وصداقة بين المتخاصمين، ثم يتطور الى علاقة حب جديدة بين «هنا» ابنة عم الشاب الفقير و«خالد» ابن رئيس تحرير الصحيفة التي تتدرب فيها «هنا». وعلاقة حب مشوهة أخرى تنتهي بالزواج بين أم هذا الشاب المطلقة وبين شاب فقير آخر يعمل لديها في محل الأزياء بعد أن فشل في الحصول على الثانوية العامة. وتنتهي العلاقة بالزواج الذي يقابل بلطم الخلود والنواح والانكسار من أسرتها خاصة الفتى «خالد» الذي اصابته «عقدة» من النساء، كل النساء، ومن ثم يتخلى عن صديقته «هنا» بعد أن كانا قد تزوجا عرفيا في السر، ويتركها تندب حظها ومصممة على الانتقام.

كل هذا ونحن لم نبرح الحدوتة الرئيسية «للأستاذ عبد الحميد دراز» معلم اللغة العربية واسرته «شبه النموذجية». فالعلاقة بين الأب وابنه تعرضت لانكسار منذ ان تنازل الأب عن القضية التي كان رفعها ضد المعتدين على ابنه (انقاذا لمستقبل ابنته وزوجها الذي كاد أن يفقد بعثته الدراسية للخارج بسبب صراع الأقوياء والضعفاء، وهي تنويعة سريعة على احدى أوجه الفساد المستشرية في المجتمع حاليا). وتمر العلاقة بفترات متفاوتة من التوتر والمصالحة والتقارب والبعد، دون أن ترسو على مضمون بعينه سوى أن كل ذلك يخدم اطالة الحلقات بدفع الشاب في طرق متعرجة نحو البلطجة تارة ثم تناول المخدرات ثم الاتجار بها، وكل هذا على خلفية فقدانه البراءة المفاجئ الذي نجم عن اكتشافه حقيقة العالم الذي يحكمه الأقوياء والأثرياء، ويعني هذا كفره بالعلم والتعليم، وكفره بالحب وأوهامه طالما ظل الفقر جاثما على حياته. في كل هذا نتابع شخصية «الأستاذ عبد الحميد» المقدمة هنا على نفس النمط المثالي المتكامل الذي يحلو للمؤلفين أن يفصلوه على مقاسات النجوم الكبار. فهو معلم نموذجي، ومربٍ فاضل وأستاذ أجيال عديدة تخرجت على ايديه من المدرسة النموذجية التي يعمل بها (وله مكتب فخم يليق بمدير عام لم أر مثله في أى مدرسة حكومية ولا يقل وجاهة عن مكتب ناظرة المدرسة.) وهو بالطبع أب نموذجي متفان ككل الآباء المصريين في سبيل اسرته، لا ينقطع عن المذاكرة لهم في البيت والسهر على راحتهم والكد من أجلهم ليل نهار، بل سيصل به انكار الذات الى حد الكذب بشأن المخدرات التي عثرت عليها الشرطة في حقيبة ابنه حين داهمت المنزل، فيزعم ان الحقيبة حقيبته ليفدي ابنه وينقذه من السجن. وهو بالطبع زوج مثالي أيضا، فالعلاقة بينه وبين زوجته لا تشوبها شائبة، يتبادلان عبارت المديح والثناء ويتفانيان في اظهار حرصهما على بعضهما البعض. هو رؤوف جدا بها «لا يقل لها أف» ويحنو عليها من سهرها الدائم على راحته وأسرته، ولا يخاطبها الا ولسانه يلهج بعبارات الامتنان والتدليل. والزوجة «آمال» (معالي زايد) تعاني حقا من اسهال مشاعر وعواطف وانفعالات، سريعة الصراخ والعويل في المواقف العصيبة أو حين يلوح شبح احداها في الأفق، وهي تذرف الدموع سريعا سيان في الأفراح والأتراح. لقد صورت «معالي زايد» الشخصية على نحو هو أقرب الى استنساخ شخصية زوجة «سي السيد عبد الجواد» في ثلاثية نجيب محفوظ، على الرغم من الاختلاف الواضح بينهما، فزوجة سي السيد كانت امرأة جاهلة في مطلع القرن العشرين، أما «آمال» فهي على قدر من التعليم وامرأة عاملة، ومع ذلك كان أداؤها المبالغ جدا ((Overactingيبدو مفارقة حقا، لأنه يقربها كثيرا من زوجة «سي السيد» فاذا عرفنا أن هذا الدور بالذات لعبته أمها الممثلة الراحلة آمال زايد، ربما فهمنا وجه الشبه بين آمال الراحلة وآمال المسلسل.

بكائيات عائلة «دراز»

المبالغة في الأداء لا يمكن تصورها بمعزل عن المبالغة في تصوير الشخصيات، لأن الممثل في النهاية محكوم بأبعاد الشخصية كما رسمها المؤلف، أو على الأقل بفهمه واستيعابه لهذه الشخصية. وما لا يغتفر لهذا المؤلف كثير في الواقع، دون تجنٍ، وفي مقدمة ذلك رؤيته للواقع الذي يصوره. هناك مثلا التناقض الصارخ بين منظومة القيم التي يتمسك بها الأب، وبين الحال الذي آلت اليه هذه القيم في الواقع. ان التحول الحاد الذي ينقلب اليه الابن بعد اصطدامه بالواقع يعكس فشلاً تربوياً في المقام الأول. اما أن الابن كان غارقا في العالم الطوباوي الذي نسجه الأب لنفسه ولأسرته، أو أن التحول الذي طرأ على شخصيته كان ميلودراميا فجا حين يكتشف مكانه الحقيقي في المجتمع وأن الهوة الشاسعة بينه وبين حبيبته لا يمكن ردمها بالكلام المعسول وحده (وإن كنا لم نر من ذلك شيئا ولا مشهدا رومانسيا واحدا، وهو فشل آخر للشخصية ولمؤديها). نفس الموقف الملتبس نجده من قضية التعليم. لقد مر المجتمع المصري بتغيرات وانعطافات حادة اقتصاديا واجتماعيا في العقود الأخيرة، وتبدل سلم القيم فيه على نحو يعكس هذه التغيرات. ومع ذلك لا يزال كتاب المسلسلات من أمثال محمد جلال عبد القوي يتعاملون مع قضية التعليم بقدسية ينكرها الواقع المصري. لماذا أحس الأب بمصيبة حين لم يحصل ابنه على مجموع عال في الثانوية العامة يؤهله لدخول كلية مرموقة؟ ولماذا الاصرار على هذا الترتيب الهرمي للكليات الجامعية حين بات جليا للجميع ان الشهادة الجامعية وحدها (لا طب ولا هندسة ولا علوم سياسية، ولا أي تخصص آخر) لا تكفي لضمان وظيفة فما بالك بالمستقبل الواعد؟ لماذا يتعامى هؤلاء المؤلفون، في تماهيهم مع الشخصيات التي يرسمونها، عن ذات الواقع المترع بالفساد والمحسوبية والرشوة والذي لا يملون هم من تصويره؟ لماذا ينسون ذلك حين يتعلق الأمر بتناول منظومة القيم التي تحكم الأسرة المصرية في قضايا مثل التعليم والمستقبل المهني؟ ومن قال ان التعليم الجامعي هو السبيل الأفضل لضمان مستقبل مرموق؟ ليس هذا صحيحا في العديد من البلدان المتقدمة، وهو بالتأكيد ليس كذلك في مصر المحروسة. ان الاعلاء من شأن التعليم الجامعي في مصر الى حد القدسية انما يبطن في الوقت ذاته احتقارا لكل ما عداه من طرق مهنية قد يسلكها «التعساء الأقل حظا» الذين لم تصبهم نار التعليم الجامعي المقدسة. تلك عقدة بالتأكيد تعود جذورها الى عقود مضت، حين كان التعليم مقصورا على أبناء الأغنياء، وتحولت تلك الى عقدة تمسك بخناق المجتمع بعد ثورة يوليو خاصة بعد أن أعلن المفكر الراحل طه حسين قولته الشهيرة ان التعليم كالماء والهواء. وانظر الى الطامة الكبرى، أى تجليات هذه السياسة التعليمية الرعناء، فمصر على توالي العقود لا تزال تتوسع في انشاء المعاهد والجامعات، رغم الفشل الذريع في استيعاب الخريجين عاما بعد آخر. بل انظر مثلا الى عبثية التخصصات من قبيل قسم الفلسفة في كلية الآداب، الذي كان يضم ما لا يقل عن ستمئة طالب (ربما قبل عشر سنوات) وكان هناك نحو عشر كليات آداب، يتخرج كل عام منها أكثر من ستة آلاف «فيلسوف»، الغالبية العظمى منهم سيجلسون على المقاهي، أو يعملون سائقي أجرة، والبنات «يتجوزوا ويقعدوا في البيت»، وقس على هذا عشرات التخصصات الأخرى التي لا مكان لها في سوق العمل والتوظيف، أما عن مستوى الخريجين في هذه التخصصات، فحدث ولا تخف.

الطريف أن نفس الأسرة التي أقامت مأتما ولطمت الخدود حين لم يحصل الابن الأصغر على مجموع يؤهله لدخول كلية «محترمة»، أقامت فرحا حين تم قبوله في كلية الشرطة. علما بأن نفس المجموع كان يمكن أن يؤهله لكلية الحقوق، التي كان ينظر اليها في النصف الأول من القرن العشرين بوصفها كلية الساسة والوزراء وكبار رجال الدولة، أما اليوم فصارت من كليات القاع التي لا يتقدم لها الا الطلاب الذين سدت في أبوابهم الكليات الأخرى، على الرغم من الطبيعة الجادة والرصينة للدراسة الأكاديمية فيها والتي تتطلب قدرات عقلية عالية، ولذا فان الالاف الذين يتخرجون من هذه الكليات (يوجد اكثر من عشر منها) كل عام يجدون أنفسهم على قارعة الطريق في سوق العمالة وبالأحرى البطالة، جنبا الى جنب آلاف من زملائهم خريجي الكليات «المحترمة». المفارقة ان تغير هذه الأوليات التعليمية انما يعكس من ناحية أخرى صعود العسكرتارية في مصر طوال النصف قرن الماضي، وتراجع الطبقات المتوسطة التي فقدت مكانها في قيادة المجتمع، ولذا نجدها تسعى دائما للتعلق بأهداب السلطة الجديدة ومواقعها السلطوية، وهو نفس ديدن البيروقراطية المصرية التي يستشري فيها الفساد كونها باتت مرهونة بذهب السلطان وسيفه.

القضية برمتها تعكس جانبا من بؤس تصورات الطبقة المتوسطة، والطبقات الأدنى المتلهفة للحاق بها في مصر، وفي ظل هذه الهوة الشاسعة بين الطموحات والتوقعات من ناحية، وبين الواقع الذي يضيق بأبنائه يوما بعد آخر، كيف لأحد أن يدهش من تفشي ظواهر كالمخدرات والبلطجة والفساد والرشوة، وتحول المجتمع الى تركة منهوبة يتوارث فيها الأغنياء والأثرياء واللصوص والأفاقين المناصب والمغانم، ويتوارث الفقراء فقرهم وبطالتهم واستغراقهم في الأوهام من النوع الذي يروج له كتاب المسلسلات.

* ناقد من مصر يقيم في امريكا

في الفترة من 5 الى 15 تشرين الثاني القادم:

أربع محاضرات لأدونيس في مكتبة الإسكندرية

محمد الحمامصي*

■ تستضيف مكتبة الإسكندرية الشاعر العربي الكبير أدونيس في الفترة من 5 الى 15 تشرين الثاني (نوفمبر) القادم ضمن برنامج (الباحث المقيم) وهو تقليد للمكتبة القديمة منذ عصر البطالمة مؤسسي المدينة الساحلية بعد غزو مصر في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث يلقي الشاعر عددا من المحاضرات كما يلتقي بعدد من الباحثين في نقاشات مفتوحة.

وقال مدير مركز المخطوطات ومتحف المخطوطات بالمكتبة يوسف زيدان أن التقاليد العلمية بالمكتبة القديمة أثرت العلماء من أجيال وشعوب مختلفة وحققت انجازات في تطوير العلوم، مشيرا الى أن المكتبة كانت تستضيف علماء أجانب للإقامة بها لتدريب الباحثين وتأصيل المعرفة.

وأشار الى أن برنامج الباحث المقيم يسير على درب المكتبة القديمة باستضافة كبار الباحثين التراثيين في العالم لفترة لا تقل عن أسبوعين يلتقون فيها يوميا بالمتخصصين إضافة الى إلقائهم محاضرات على الجمهور ثم يقوم مركز المخطوطات بتوثيق هذه المحاضرات لتكون متاحة لجمهور الباحثين بسعر التكلفة.

وأضاف أن أعمال أدونيس تتوزع على ثلاثة محاور، الأعمال الشعرية التي ترجمت الى عدد من اللغات الأوروبية، وصارت علما على الشعر العربي الطليعي الحداثي الذي يسعى الى تجديد بنية هذا الشعر وأشكاله، والأعمال الأكاديمية والبحثية التي تتناول في معظمها قضايا التراث العربي الحداثي، ثم ترجماته لعيون الأدب الغربي القديم والحديث.

وسوف يقوم أدونيس بإلقاء أربع محاضرات الأولى (الثابت والمتحول في الثقافة العربية: قراءة المؤلف لكتابه «الثابت والمتحول») ويجيب فيها على تساؤلات مثل ماذا لو قام صاحب كتاب الثابت والمتحول الصادر جزؤه الأول عام 1974 بقراءة التراث العربي اليوم؟ هل كان سيكتب الثابت والمتحول بالطريقة ذاتها بعد مرور 30 عاما على صدوره أم كان سيكتب بطريقة أخرى، كيف ولماذا؟، والثانية (الذائقة الشعرية العربية «ديوان الشعر العربي») وعلى نفس النسق تأتي تساؤلات هذه المحاضرة:الشعر العربي تراث هائل فبأي معيار وبأية ذائقة تم اختيار نصوص وأبيات ديوان الشعر العربي، هذا الديوان كيف ينظر اليه صاحبه اليوم بعد مرور أربعين عاما على صدورها، هل تغيرت معاييره وكيف هذا الديوان وهل ذائقته الشعرية على حالها أم تغيرت؟ ولماذا؟، وهكذا المحاضرة الثالثة (الشعر والفكر)، والمحاضرة الرابعة (الشعر والهوية) تطرحان تساؤلات جوهرية في التجربة الشعرية العربية قديمها وحديثها وكذا تجربة الشاعر أدونيس نفسه.

الجدير ذكره أن برنامج الباحث المقيم قد بدأ في آذار (مارس) الماضي باستضافة الدكتور رشدي راشد الرئيس السابق لمركز (تاريخ العلوم والفلسفات العربية والقروسطية) بفرنسا والذي يعنى بدراسة تاريخ العلوم والفلسفة في القرون الوسطى، تلاه د. محمود مكي أحد أعلام الدراسات الأندلسية في مصر والعالم، ود. عبد الحميد صبرة أستاذ تاريخ العلوم بجامعة هارفارد الأميركية ومن المشاركين في الفترة القادمة ضمن برنامج الباحث المقيم بالمكتبة التركي رمضان ششن والمغربي أحمد شوقي بنين.

* شاعر من مصر

قص

آنية الورد

محمد حنون*

■ استرقت النظر نحو نافذتها.. تبدو الستائر هادئة، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحا، اعتدت أن أرى نافذتها مشرعة في مثل هذا الوقت، كانت روحي تتوهج كلما أطلت.. تتكىء بذراعيها على حافة النافذة.. وتشعل سيجارتها، فتشعل معها قلبي الذي تقتله الأمنيات. كيف سأتحدث معها؟ ما الذي يمكنني قوله لامرأة تحمل في كفيها صولجان السحر والدهشة؟ سأقترب منها حين أراها.. وسأقول ببساطة شديدة..

- تبدين جميلة اليوم..

لا بد وأن وجهها سيحمر خجلا، سترتبك وستتسمر في مكانها بعد أن سلبت عقلها وجعلتها ترى في جرأتي رجلا لا يضاهى، لا بد وأنها ستقضي يومها هائمة، سارحة الروح، أقسم أنها لن تفارق نافذتها المطلة على نافذتي بعد ذلك. ربما سأتمكن من الخروج معها في اليوم ذاته لتناول القهوة. آه لا.. يجب أن أتمهل، يجب ألاّ أكون عجولا، سأجعلها تعيش حالة الفرح خطوة خطوة. في اليوم التالي سأكتفي بايماءة من كفي، يجب أن أكون حذرا، وأن أبدو وكأنني لست متلهفا.. لأنه قد يصيبها الذعر وتبتعد عني.

أعتقد بأنني.. يجب أن أعطي انطباعا جيدا لديها قبل أن أبادر بالحديث معها.. أعرف تماما ما الذي يجب أن أفعله، سأضع آنية من الورد على حافة نافذتي وسأقوم بسقيها كل صباح، وعليّ أن أتأكد أنها تراني.. عندها سيرق قلبها لي، فأي شيء أكثر سحرا وجاذبية من رجل يهتم بالورود ويسقيها كل صباح؟

الساعة الآن الثامنة والنصف صباحا... بعد قليل ستفتح نافذتها، بعد أن تكون قد انتهت من الاستعداد للخروج الى العمل، سأضع الآن آنية الورد على حافة نافذتي وحين تفتح نافذتها ستراني.

ها هي الستائر تفتح.. يجب أن لا أنظر نحو نافذتها لفترة وجيزة، حتى تظن بأنني لم أرتب للأمر وبأنني لم أنتبه لوجودها على النافذة.

لا بد وأنها تنظر نحوي الآن، سأضع ابريق الماء جانبا وأندمج مع احدى الوردات، سأمسح وريقاتها برفق. يا الهي.. لا بد وأنها قد أسرت الآن بهذا المشهد، الآن ستعرف أنني رجل رقيق يحب الورد؛ وستقابل محاولتي بالتقرب اليها بالقبول، يجب أن أنظر نحوها الآن! .. سأبتسم كما لو أنني تفاجأت بوجودها على النافذة، ويجب ان ألقي عليها التحية..

- صباح الخير.

لقد ابتسمت لي ! تماسك .. تماسك، كل شيء يسير حسب الخطة، تماسك ولا تنفعل، حافظ على هدوء ملامحك..

- صباح النور، يا لها من ورود جميلة.

يا لصوتك الرقراق، مباركة هي الدهشة، ومباركة هي النشوة التي جعلتك نطفة في رحم أمك!! صباح النور الذي هو نورك...

- نعم، انها جميلة جدا... أحب الورود جدا، هل تحبينها؟

- أنا أعشقها..فلا شيء يضاهيها..

يا الهي كم هي رقيقة.. ويبدو أن قلبها قد بدأ بالميل نحوي، يجب أن أبادر الآن بالتقرب اليها. لا..لا تتعجل، تحدث اليها، لا تبدو كالأبله الذي لم يرَ امرأة في حياته!

- انه الورد المفضل لدي..الورد الجوري الأحمر..

- الجوري من الورود المفضلة لدي أيضا.. ولكنني أحب التوليب أكثر..

اللعنة، فلتبتلعك حمم وشقوق جهنم!! كان يجب أن تحضر أنواعا أخرى من الورود تحسبا لشيء كهذا. قل شيئا يا كتلة الغباء... ولا تقف كلوح خشب.

- التوليب أيضا من الورود المفضلة لدي.. ولكن الورود تتشابه.. وكلها جميلة بالنسبة لي..

- نعم صدقت.. كل الورود جميلة.

- هل تسمحين لي، أقصد... أرغب أن أعطيك وردة؟

- لا أرجوك.. الورود أجمل حين تبقى حية ونضرة، لا تقطفها..

كدت أن أقع في الخطأ ثانية، فكر يا لوح ...فكر، استخدم عقلك قبل أن تقول أي شيء، انها فتاة رقيقة جدا، ومن المؤكد أنها لن تقبل بقطف الورود، كم كان سيكون الأمر مختلفا لو أنك قلت..بأنك ترغب في إعطائها آنية الورد..

يجب أن تصلح الأمر... والا فاللعنة عليك ان ضيعت فرصة كهذه..

- قصدت أن أقول.. هل تسمحين لي أن أعطيك آنية الورد هذه؟ ثم انني لا أحب قطف الورود أيضا، أشعر بأنها تتنفس ولها روح مثلنا.

- كم أنت رقيق.. شكرا لك.

- هل يعني هذا قبول هديتي ؟

- نعم وسأكون شاكرة لك.. ولكن كيف سآخذها منك؟

- دقيقة واحدة وسأكون أمام باب شقتك!! هل تمانعين؟

- لا أبدا.. ولكن أرجو أن لا يكون في الأمر مشقة عليك؟

- أبدا، دقيقة واحدة!

حمل وليد آنية الورد، وقلبه يرقص فرحا، بدت له الغرفة أكثر اتساعا من أي وقت مضى، وشعر بأن ساقيه أكثر خفة. فتح باب غرفته وهو يدندن لحنا فرحا. في تلك اللحظات.. استنفر الممرضون في مشفى الأمراض العقلية حين شاهدوا وليدا يحمل دلو الحمام، مسرع الخطى ومتوجها نحو الخارج. قال أحد الممرضين دون انفعال.. "فليتصل أحدكم بالأمن..وليد يحاول الهروب مرة أخرى..سأجهز ابرة المهدئ".
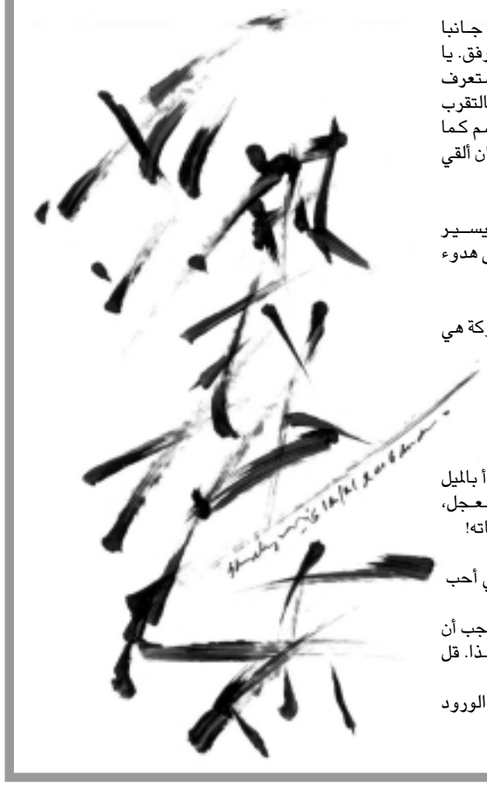
* كاتب وفوتوغرافي من فلسطين يقيم في أمريكا